الخوري **ميشال صقر**
دكتور في لاهوت
الكتاب المقدّس

سفر الخروج وإنجيل متّى

مقدّمة

يعتاد القارئ في إنجيل متّى على فهم العهد القديم في إطار جديد؛ فهو الإنجيل الذي كُتب للجماعة المسيحيّة من أصل يهوديّ وقد بيّن أنّ يسوع الناصريّ هو المسيح المنتظَر والموعود به من قِبَل الأنبياء. فقد استعمل متّى عشر مرّات "استشهاد التتميم" (Citation d'accomplissement)، أي الاستشهاد الصريح الذي يتمّم العهد القديم من خلال تكرار هذه الكلمات أو ما شابهها: "هذا كلّه جاء حتّى يتمّ ما قيل على لسان النبيّ"[١]. من خلالها يُبرز متّى أنّ الأحداث ليست من نسيج الصدفة أو مُخترَعة من الناس، إنّما تتوافق مع الكتب المقدّسة التي من خلالها أوحى الله مخطّطه الخلاصيّ[٢].

إذا قارنّا بين إنجيل متّى وسفر الخروج لوجدنا أنّ الإلهام الإلهيّ ربط بين هذين السِفرين بطريقة فريدة ومميّزة. لشرح هذا الترابط ومكوّناته سنلجأ إلى المنهجيّة "البراغماتيكيّة الألسنيّة"[٣] التي هي فرع من العلوم الاتصاليّة المكتوبة، والتي تركّز

١ وهذه هي مراجع استشهادات التتميم العشرة في متّى: ١: ٢٢–٢٣؛ ٢: ١٥ و١٧–١٨ و٢٣؛ ٤: ١٤–١٦؛ ٨: ١٧؛ ١٢: ١٧–٢١؛ ١٣: ٣٥؛ ٢١: ٤–٥؛ ٢٧: ٩–١٠.

٢ رج:
Cf. K. Stock, *Il racconto della passione nei vangeli sinottici*, Pontificio Istituto Biblico, Roma 2003, 19.

٣ القراءة البراغماتيكيّة للنصوص الأدبيّة تعود للفيلسوفَين اللغويَّين الأميركيَّين شارل بيرس (١٨٣٩–١٩١٤) وشارل مورّيس (١٩٠١–١٩٧٩). في العقود الأخيرة ممكن قراءة
C. Bianchi, Pragmatica del linguaggio, Roma 2003; Paul Ricoeur, Du texte à l'action, Paris 1986.
أمّا تطبيق هذه المنهجيّة على النصوص البيبليّة فهو جديدٌ نسبيًّا؛ يمكن على سبيل المثال مراجعة:
M. Sakr, *Le sévère Sauveur. Lecture pragmatique des sept «OUAI» dans Mt 23,13-36*, Peter Lang XXIII/808, Bern 2005; M. Grilli, *Comunità e missione: le direttive di Matteo. Indagine esegetica su Mt 9,35 – 11,1*, EH XXIII/458, Frankfurt am Main 1992; D. Dormeyer, *Evangelium als literarische und theologische Gattung*, Darmstadt 1989 .

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Clean Final_M5.indd 437 1/30/17 1:09 PM

خاصّة على القارئ الذي بُنيَ أثناء النصّ من خلال إنتظاراته، ومن ثمّ تحدِّد تأثير بُنية النصّ ومضمونه على القارئ؛ فالكاتب المثَل يلتقي مع القارئ المثَل من خلال النصّ، الذي بقوّته البراغماتيكيّة يجاوب عن انتظارات القارئ، كلّ قارئ على مرّ العصور، مسائلاً تصرّفه الأدبيّ.

١ – بناء قارئ سفر الخروج

إنّ عبور البحر الأحمر، كما أخبره سفر الخروج في الفصل ١٤، هو معروفٌ من الجميع، حتّى من الذي لم يعتد قراءة الكتاب المقدّس؛ فهذا العبور هو الحدث الأساسيّ الذي أعطى للفصول الأربعين اسم السفر "الخروج". بِغَضّ النظر عن العوامل الطبيعيّة والاستثنائيّة التي قد تكون ساعدت على هذا الحدث، إنّ الإيمان اليهوديّ وجد أنّ القدرة التي أنجزته هي قوّة الله الواحد؛ فالنتيجة كانت مدهشة لدرجة أنّه لا يمكن إلغاؤها من التاريخ؛ وقد أصبح ممكنًا الحديثُ عن عجيبة[٤].

١. ١ – الخروج هو "الحدث الأساس"

عندما نفكّر حول أحداث الخروج من مصر، مَن يؤمن يكتشف المعنى الحقيقيّ لما جرى: "أذكُروا ذلك اليومَ الَّذي خَرَجتُم فيه مِن مصر، مِن دارِ العبوديَّة، لأَنَّ الرَّبَّ أَخرَجَكم بِيَدٍ قويَّةٍ مِن هناك" (خر ١٣: ٣). استعمل الكاتب صيغتين للفعل نفسه "خرج" للحديث عن عبور البحر: الصيغة الأولى "أنتم خرجتم"، والثانية "الربّ أخرجكم". إنّ اكتشاف المعنى العميق للأحداث يتناسب مع اعتراف حضور الله مع ما حدث: "إنّ الله هو الذي فعل هذا من أجلنا".

في تاريخ شعب إسرائيل، هذا العبور من مصر الذي حقّقته يدُ الله القديرة أصبح "الحدث الأساس"، أي الحدث الذي من خلاله يتعرّف الشعب على نشأته وعلى الحافز الأساسيّ لوجوده كشعب. عبر منعطفات التاريخ، يبقى هذا الحدث المرجع لفهم أحداث الماضي والحاضر والمستقبل: ذلك الربّ الذي حرّرنا هو الربّ الذي يحرّرنا الآن والذي سوف يحرّرنا! من الآن فصاعدًا، إله إسرائيل سيبقى معروفًا

٤ هذه الأفكار وردت في:
A. Fumagalli, « Espiritualidade. O êxodo na Bíblia : um modo de viver e de acreditar», in *Pelas estradas do êxodo. Publicação das Missionárias Seculares Scalabrinianas* 2/30 (2011) 7-11.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Clean Final_M5.indd 438 1/30/17 1:09 PM

باسم "الإله المخلّص" الذي حرّر الشعب من العبوديّة.

وبما أنّه "الحدث الأساس"، إنّ اختبار الخروج من مصر أثّر بشكل جذريّ على الإنسان البيبليّ في كلّ الأصعدة. يكفي استعراض المحاضرات في هذين اليومين من المؤتمر لنرى أنّ بعض المواضيع شدّدت على علاقة سفر الخروج بسفر هوشع وبسفر الحكمة على سبيل المثال. عندما أراد إسرائيل أن يفكّر حول بدايات العالم والإنسان واكتشف أنّ الربّ هو "الإله الخالق" كان ذلك بسبب خبرته للإله المخلّص. وعندما أقدم على سنّ القوانين، المنظّمة لحياته الدينيّة والاجتماعيّة، خاصّة بما يتعلّق بالغريب والنزيل، كانت خبرتُه في الخروج هي الأساس:"والنَّزيلُ فلا تَظلِمْه ولا تُضايِقْه، فإنَّكم كُنتُم نُزلاءَ في أَرضِ مصر" (خر ٢٢: ٢٠).

١. ٢ – خروج دون وصول

ليس الخروج فقط "الحدث الأساس"؛ فالقارئ الذكيّ المنتبه إلى العلامات التي يعطيها الكاتب الملهم في هذا السفر يكتشف رويدًا رويدًا، كلّما اقترب من نهاية السفر، أنّ عليه مراجعة انتظاراته وتساؤلاته؛ فالسرد ينتهي فيما الشعب لا يزال ماشيًا في الصحراء، بعيدًا عن أرض الميعاد. لماذا ينتهي هكذا سفر الخروج[٥]؟

منذ بداية القصّة في سفر الخروج، كان واضحًا أنّ الخروج من مصر لم يكن خروجًا دون هدف. عندما تكلّم الله مع موسى لأوّل مرّة بسبب وضع الشعب المقهور، برز معه حالاً وعدٌ لهدف الخروج؛ فهكذا قال عندما دعاه في العلّيقة المشتعلة: "فقالَ الرَّبّ: إنّي قد رَأيتُ مذلَّةَ شعبي الَّذي بمصر، وسَمِعتُ صراخَه بسببِ مُسَخِّريه، وعَلِمتُ بآلامه، فنزَلتُ لأنقذَه مِن أَيدي المصريِّين، وأُصعِدَه مِن هذه الأَرضِ إلى أَرضٍ طيِّبةٍ واسعة، إلى أَرضٍ تَدُرّ لبنًا حليبًا وعسلاً" (خر ٣: ٧–٨).

لكنّ سفر الخروج لا ينتهي مع الوصول إلى تلك الأرض: "وكانَ، إذا ارتَفَعَ الغمامُ عنِ المسكِن، يَرحَلُ بنو إسرائيلَ في جميعِ مراحِلِهم، وإذا لم يَرتَفِع، لَم يَرحَلوا إلى يومِ ارتفاعِه، لأنَّ غمامَ الرَّبِّ كانَ على المَسكِنِ نهارًا، وكانَتِ النَّارُ في الغمامِ ليلاً، عَلى مشهدِ جميعِ بيتِ إسرائيلَ في جميعِ مراحِلِهم" (خر ٤٠: ٣٦–٣٨). إنّ سفر الخروج ينتهي على الشكل الآتي: نحنَ في سيناء، ومن هناك يأخذ الشعب

٥ لشرح مقتضب حول سفر الخروج شكلاً ومضمونًا رج:
C. Wiener, « Le livre de l'Exode », *Cahiers Évangile* 54 (1985) 5-60 ; W.J. Martin – A.R. Millard, « Esodo. Libro » *Dizionario biblico GBU*, Roma 2008, 549-552.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Clean Final_M5.indd 439 1/30/17 1:09 PM

الطريق من جديد في قلب الصحراء. كيف على القارئ أن يفهم هذا؟ ألا يمكننا اعتبار هذا نهايةً مخيّبةً للآمال؟

ما يمكن أن يساعدنا هو ما جرى في الصفحة الأخيرة من هذا السفر؛ فقبل أن يعاود إسرائيل السير مرشَدًا من قبل الله الذي كان المخطّط لهذه الخطوة، حدثَ أمرٌ فائق الأهمّيّة: كان ما لبث أن انتهى موسى من تحضير خيمة الموعد، عندما "غَطَّى الغمامُ خيمةَ الموعد، وملأَ مجدُ الرَّبِّ المسكن، فلَم يَستَطِعْ موسى أَن يَدخُلَ خيمةَ الموعِد، لأَنَّ الغمامَ كانَ حالاًّ عليه، ومجدَ الرَّبِّ قد ملأَ المسكن" (خر ٤٠: ٣٤–٣٥)؛ فمن خلال رموز كبيرة لحضور الله كالغمام والمجد، قد رُوي أنّ الله أتى ليسكن في وسط شعبه، الذي أصبح الآن "شعبَه"، "شعب العهد". هكذا نفهم إذًا أنّنا أمام نهاية ليست مخيّبة للآمال، إنّما أمام خاتمة معبّرة: لا يزال الشعب يتابع مسيره، وخلال هذا المسار في الصحراء يكشف الربّ عن ذاته أنّه الذي يريد أن يسكن في وسط شعبه.

١. ٣ – العلاقة الحقيقيّة مع الله

بواسطة الخاتمة يستعيد سفر الخروج المعنى العميق للصعود من مصر، حسبما أكّده الله في طرق عدّة خلال السرد: " أنا الرَّبُّ، لأُخرِجَنَّكم مِن تحتِ سُخْراتِ المصريِّين، وأُنقِذُكم مِن عبودِيَّتِهم، وأَفديكم بذراعٍ مبسوطة وأحكامٍ عظيمة. وأَتَّخِذُكم لي شعبًا، وأَكونُ لَكم إلهًا" (خر ٦: ٦–٧). إنّ أرض الميعادِ الحقيقيّة هي العلاقة مع العهد. والبلد الذي فيه الشعب مدعوٌّ أن يسكن هو العلاقة مع الله. وهذا هو الهدف الحقيقيّ لسفر الخروج.

إنّ الخروج هو بهدف العيش في دفء العهد وجعْل الحياة الشخصيّة ليتورجيّة تسبيح للذي نزل من عليائه ليخلّص شعبه. وهذا هو معنى العلامة الغريبة التي أعطاها الله لموسى عندما دعاه إلى رسالته والتي ستتحقّق في المستقبل: "أنا أَكونُ معَكَ، وهذه علامةٌ لكَ على أَنِّي أنا أَرسَلتُكَ: إذا أَخرَجتَ الشَّعبَ مِن مصر، تَعبُدونَ الله على هذا الجبل" (خر ٣: ١٢). بهذه الطريقة، تكشف القصّة أنّ الحرّيّة المعطاة للشعب ليست فقط حرّيّة "مِنْ"، إنّما أيضًا وخاصّةً حرّيّة "إلى". عندما يتحرّر إسرائيل من الذلّ، يُصبح عندها مدعوًّا لعيش حرّيّة القلب ليستطيع أن يعتنق العهد مع الربّ.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Clean Final_M5.indd 440 1/30/17 1:09 PM

وإذا كان هذا حقًّا الهدف من الخروج، فالسير في الصحراء يتّخذ أهمّيّةً استثنائيّة. في الواقع، إنّ سَفَرَ الشعب لطويلٌ جدًّا أكثر مما يُنتظر؛ فبفضل السير في الصحراء يستطيع إسرائيل، بعد أن خرج من مصر، أن يتعلّم أن يتّكل لا على قدراته ونفسه بل على الله. في علاقة الثقة هذه، يستطيع إسرائيل أن يتذوّق طعم الحرّيّة الحقيقيّة التي بإمكانها أن تجاوب على مقوّمات العهد.

هكذا بإمكاننا أن نفهم كيف أنّ الخروج ليس فقط "حدثًا أساسًا" في التاريخ، إنّما أصبح أيضًا "حدثًا منفتحًا" على المستقبل، وبذلك أيضًا "شرعةً" في كيفيّة العيش وكيفيّة الإيمان.

٢- بناء قارئ إنجيل متّى

يعرض متّى في إنجيله قصّة إيمانيّة بطلها يسوع الملك منذ طفولته إلى عماده واختياره للتلاميذ، ثمّ أحداث خلاصيّة وتعاليم في خمس خطب تنتهي في آيةٍ خاتمة واحدة متكرّرة[٦]، وينتهي بآلامه وموته وقيامته. هذه المعلومات تصبّ في مواضيع لاهوتيّة أربعة[٧]، بُني على أساسها قارئ الإنجيل في كلّ صفحة من صفحاته، هي الآتية: الله، مسيحانيّة يسوع، الكنيسة، والحياة الأدبيّة.

٦ تأتي الآية الخاتمة في مت ٧: ٢٨؛ ١١: ١؛ ١٣: ٥٣؛ ١٩: ١؛ ٢٦: ١. قد تشكّل العظات الخمس مع الأحداث التي تسبقها كمقدّمة لها كتبًا خمسة هي بمثابة التوراة الجديدة، أي كتب الشريعة الخمسة الجديدة بدل التوراة القديمة. هذا التصميم لإنجيل متّى المؤلّف من مقدّمة (الطفولة)، خمسة كتب، وخاتمة (الآلام والقيامة) نجده في طبعة *Bible de Jérusalem*. وكان أوّل مَن تحدّث عن هكذا تصميم الباحث الكبير "بايكن" سنة ١٩١٨.

رج:

B.W. Bacon, *Matthew. The Making of the New Testament*, London 1912; "The five books of Matthew against the Jews", *The Expositor* 8/15 (1918) 56-66; *Studies in Matthew*, New York 1930.

وقد أعيد العمل بهذه النظريّة من قبل كتّاب معاصرين، منهم:

P. Benoit, "The Setting of the Sermon on the Mount", by W.D. Davies, *Revue Biblique* 72 (1965) 595-601; W.D. Davies, *The Sermon on the Mount*, trad. Française: *Pour comprendre le sermon sur la montagne*, Parole de Dieu 4, Paris 1970, 22-25 ; V.K. Agbanou, *Le discours eschatologique de Matthieu 24-25. Tradition et rédaction*, Études Bibliques Nouvelle Série 2, Paris 1983, 18-19.

٧ رج:

M. Grilli – C. Langner, *Comentario al evangelio de Mateo*, Evangelio y Cultura 5, Navarra 2011, 15-21.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Clean Final_M5.indd 441 1/30/17 1:09 PM

٢. ١ – كيف يفهم القارئ "الله" عند متّى؟

بالنسبة إلى متّى، الله هو أب يسوع، إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، وإله الجماعة المسيحانيّة المؤلّفة من إسرائيل والشعوب الوثنيّة. يتبيّن للقارئ أنّ متّى يستعمل في أماكن هامّة، وأكثر من بقية الإزائيّين، عبارة "الآب السماويّ" أو "الآب الذي في السموات". هذا الآب يعرف يسوع بطريقة فريدة، ويسوع يعرفه بطريقة مميّزة (١١: ٢٧). هناك رابط شديد بينهما لدرجة أنّ ما يهمّ يسوع وما يبحث عنه في حياته هو تتميم إرادة الآب (٦: ١٠؛ ٧: ٢١؛ ٢٦: ٣٩ و٤٢).

والله أيضًا هو أب الرسل و"أبونا". يفهم القارئ أنّه ابنٌ لله، وهذا إصرار من قبل متّى على إعطاء هذه الصورة. من خلال العظات والتعاليم للرسل، يوضح الإنجيليّ أنّه بامكاننا أن ندعو الله "أبانا" (٦: ٩) لأنّه أبٌ يَعرف ما ينقص لأبنائه (٦: ٨ و٣٢) ويعطيهم العطايا الصالحة (٧: ١١). ويتوّج يسوع تعليمه حول الآب عندما يقول: "لا تدعوا أحدًا أبًا لكم في الأرض لأنّ لكم أبًا واحدًا هو الآب السماويّ" (٢٣: ٩).

على القارئ أن يقتدي بالله "أبينا" وأن يبحث عن أن يكون كاملاً كما هو كامل (٥: ٤٨). إنّ صبر رحمة الله وجهوزيّته للغفران لا يعرفان الحدود (٥: ٤٥)، وعلى هذا الأساس تُبنى وصيّة محبّة الأعداء (٥: ٤٤)؛ فالقارئ المتّاويّ مدعوّ، كابنٍ لله، إلى موقف الحبّ هذا الذي يتخطّى حدود الأقارب والأصدقاء (٥: ٤٣–٤٨).

إنّ الله أبانا يحوّل التاريخ إلى تاريخ خلاص. استشهادات التتميم العشر تعلن أنّ قصّة يسوع ليست عبر طريق الصدفة، إنّما تتبّع تصميمًا مُرادًا من الله وموجودًا في الكتاب المقدّس. هذا التصميم يعلن منذ بداية الإنجيل أنّ يسوع، كالجماعة المسيحيّة، ابنٌ لله فيه تتحقّق جميع النبوءات (هو ١١: ١؛ مت ٢: ١٥ و٢٣).

٢. ٢ – كيف يعرض متّى "يسوع المسيح" لقارئه؟

إنّ يسوع متّى هو مسيح إسرائيل بالدرجة الأولى. منذ بداية الإنجيل عُرّف عنه كونه "المسيح، ابن داود، ابن إبراهيم" (١: ١). ظهرت مسيحانيّته من خلال تعاليمه وأعماله؛ فهو يعلّم بسلطان (٧: ٢٩)، وبهذا السلطان يغفر الخطايا (٩: ٦)، ويشفي من كلّ مرض وعلّة (٨: ١٧). وعلى سؤال المعمدان، "هل أنت

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Clean Final_M5.indd 442 1/30/17 1:09 PM

الآتي أم ننتظر آخر؟"، أجاب يسوع مستعينًا بالآيات الخلاصيّة في الحقبة المسيحانيّة (١١: ٤–٦)؛ فحقلُ رسالته الأوّل، كمسيح لإسرائيل، هو الخراف الضالّة من آل إسرائيل، إلى هناك أرسل تلاميذه، وهكذا قال للكنعانيّة (١٠: ٦؛ ١٥: ٢٤).

إلى جانب موضوع مسيحانيّة يسوع، يرى قارئ متّى صفات أخرى أهمّها: يسوع هو عمّانوئيل (١: ٢٣؛ ٢٨: ٢٠)؛ موسى الجديد المضطهَد من فرعون–هيرودس، والذي يوزّع تعليمه في خمس عظات بدلاً من كتب الشريعة الخمسة؛ ابن الإنسان كما أخبر عنه سفر دانيّال ديّانٌ للأشرار والأخيار، يتألّم يموت ويقوم (١٧: ٢٢–٢٣؛ ٢٠: ١٨–١٩؛ ٢٥: ٣١). وهو ربّ الكنيسة؛ فالرسل يسجدون له وهو يعدهم بالبقاء معهم إلى منتهى الدهر (١٤: ٣٣؛ ٢٨: ٢٠). في إنجيل متّى يتوجّه الرسل نحو يسوع بكلمة "سيّد" (kurios)، فقط يهوذا الإسخريوطيّ يدعوه "رابّي"، "معلّم"؛ فيسوع نهى تلاميذه عن التسمية "رابّي"، "معلّم"، لأنّهم كلّهم إخوة (٢٣: ٨)؛ فيسوع، كونه ابن الله، هو مخوّل أن يشرح الشريعة وأن يعطيها كامل معناها، لأنّه يعرف ما في فكر الله. لذلك، أهمُّ ما يوصي به تلاميذه على جبل الجليل بعد القيامة هو أن يتلمذوا[٨] جميع الناس ويعلّموهم أن يحفظوا كلّ ما أوصى به (٢٨: ١٩).

تتميّز هذه النظرة الكريستولوجيّة المتّاويّة عن باقي الأناجيل بواسطة البصمة الليتورجيّة التي يستشفّها القارئ من كرامة يسوع المتسامية والمُصانة دائمًا في الإنجيل[٩].

٢. ٣ – ما أهمّيّة موضوع "الكنيسة" لقارئ إنجيل متّى؟

إنّ موضوع الكنيسة لمهمٌ جدًّا لقارئ إنجيل متّى في عالم اليوم. مَن يمثّل الكنيسة في الإنجيل هم الرسل، ومتّى يدافع عنهم كثيرًا[١٠] لأنّهم ورثة أنبياء العهد القديم،

٨ إنّه الفعل الوحيد الأساسيّ المصرّف كفعل أمر في الجملة في ٢٨: ١٩؛ كلّ باقي الأفعال (ذاهبين، معمّدين، معلّمين) هي أسماء فاعل (participe) تتعلّق بالفعل الأساسيّ "تلمذوا".

٩ رج:

L. Deiss, *Synopse des évangiles Matthieu, Marc, Luc, Jean*, Paris 1991, 322-323.

١٠ يكفي أن نذكر مثلَين؛ المثل الأوّل: في إنجيل متّى (٢٠: ٢٠–٢٣) أمّ يعقوب ويوحنّا تتشفّع لابنيها كي يجلسَا أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله في يوم مجيء المسيح في ملكوته، في حين عند مرقس (١٠: ٣٥–٤٠) يتجاسر التلميذان أن يطلبَا هكذا طلب من يسوع؛ بالنسبة إلى متّى، لا يمكن للتلميذين أن يطلبَا هذا. مثلٌ آخر: الرسل في متّى يُظهرون فهمًا أكثر من تلاميذ مرقس، ولقبهم ليس عديمي الإيمان كما عند مرقس إنّما قليلي الإيمان (أنظر مت ٦: ٣٠؛ ٨: ٢٦؛ ١٤: ٣١؛ ١٦: ٨؛ ١٧: ٢٠؛ مر ٤: ٤٠؛ ٨: ١٧ و٢١؛ ٩: ١٩؛ ١٦: ١١ و١٤).

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Clean Final_M5.indd 443 1/30/17 1:09 PM

فيُبيّنهم بمظهر الساجدين للربّ (١٤: ٣٣) والذين يفهمون كلامه (١٣: ٥١). فقط في هذا الإنجيل نجد كلمة "كنيسة" مرّتين (١٦: ١٧–١٩ و١٨: ١٨). الكنيسة هي مؤسّسة هرميّة، مبنيّة على بطرس (١٦: ١٨)، وأيضًا إنّها جماعة غفران ومحبّة (١٨: ١٤ و١٥ و٢٢). يُظهر متّى المبادئ التي يجب أن تحرّك العلاقات بين المؤمنين، فهم كلّهم إخوة ولهم أب واحد (٢٣: ٨–٩). ويؤكّد متّى حضور المسيح الدائم مع كنيسته (٢٨: ٢٠). هذا ما جعله يكون الإنجيل الكنسيّ بامتياز.

لقد استعملت الترجمة السبعينيّة كلمة "ekklêsia" لتعني بها جماعة إسرائيل المصلّيّة أمام الله. مع مرور الزمن، أخذ المعنى لهذه الكلمة طابعًا إسكاتولوجيًّا متعلّقًا باجتماع شعب الله المشتّت في نهاية العالم؛ فحسب النبوءات (أش ٢: ٢ و٥٦: ٧)، وبفضل دعوة الربّ، ستتكوّن في نهاية الأزمنة الجماعة المسيحانيّة المؤلّفة من اليهود ومن باقي الشعوب لتعبد الله الحي: ففي وسط تلك الجماعة يكون حاضرًا دائمًا أبدًا المسيح القائم (٢٨: ٢٠).

يفهم القارئ من خلال إنجيل متّى أنّ الجماعة الكنسيّة هي في خدمة ملكوت السموات. ليست في خدمة ملكوت اقتصاديّ وسياسيّ إنّما هي مدعوّة لخدمة الله والناس. دعوة التلاميذ الأوّلين (٤: ١٨–٢٢) تعلن اقتحام الملكوت للعالم. وهذا الاقتحام هو في كافّة التواضع والاحترام (١٢: ٢٠): على أعضاء الكنيسة أن يكونوا كالأطفال ليدخلوا الملكوت (١٨: ١–٥). بذلك، تشكّل الجماعة الكنسيّة "عائلة الله"، لها أبٌ في السموات يُدعى "أبانا" (٦: ٩) والجميع إخوة ليسوع (٢٣: ٨). وأخيرًا هذه الجماعة هي "بناء"، رأس زاويته يسوع (٢١: ٤٢)، وحجارته الرسل والأنبياء والحكماء والكتبة وكلّ المؤمنين بشريعة المسيح (١٠: ١–٢ و٤١؛ ٢٣: ٣٤).

٢. ٤ – ما هو مختصر "الحياة الأدبيّة" حسب إنجيل متّى؟

لإنجيل متّى انعكاساته الأدبيّة على حياة القارئ، كلّ قارئ على مرّ العصور. إنّ المحور الأساسيّ في بشارة يسوع عند متّى هو "ملكوت السموات"؛ فاقترابه يحثّ القارئ على أن "يعمل" لا أن يقول فقط يا ربّ يا ربّ (٧: ٢١). إنّ الحياة المسيحيّة الأساسيّة تكمن في إعطاء "ثمر" التوبة (٧: ١٩). الحياة الأدبيّة عند متّى

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Clean Final_M5.indd 444 1/30/17 1:09 PM

ليست حياة نظريّة إنّما عمليّة. يفهم القارئ المتّاويّ أنّ عليه الابتعاد عن كلّ خبث ورياء في المسلك (٢٣: ١٣–٣٦)، وأن يعيش حقيقته أمام الله وأمام الناس مبتعدًا عن حبّ الظهور والأماكن الأماميّة (٢٣: ٥–٦)، وسالكًا في برٍّ أفضل نوعيّةً لا كمّيةً (٥: ١٧–٢٠) من برّ الفرّيسيّين.

الكلمة الأولى التي يتلفّظها يسوع في الإنجيل لهي في غاية الأهمّيّة: "دعني الآن، فهكذا يحسن بنا أن نتمّ كلّ برّ" (٣: ١٥). طيلة حياته الأرضيّة كان هَمُّ يسوع تتميم إرادة الآب، أي اتّباع المعنى العميق والأساسيّ لتحقيق الخلاص (٢٦: ٣٩). أوصى بعدم القيام بشعائر الصوم والصدقة والصلاة لكي يراها الناس؛ فالمهمّ أن يرى الله في الخفاء (٦: ١–١٨). وأخيرًا، إنّ عيش أدبيّة المسؤوليّة يفرض على القارئ أن يساعد المحتاجين ويقوم بأعمال الرحمة، "كلّ ما فعلتموه مع أحد إخوتي هؤلاء الصغار، فلي قد فعلتموه" (٢٥: ٤٠).

٣– أين يتلاقى نصّ إنجيل متّى بسفر الخروج؟

نجد في إنجيل متّى ٨ استشهادات واضحة من سفر الخروج و٩ تلميحات إلى هذا السفر[١١]. وهناك أيضًا تقاربٌ في اللغة والصيغة الكتابيّة. نعرض كلّ ذلك استنادًا إلى تسلسل إنجيل متّى من بدايته حتّى النهاية.

Allusion	مت ٢: ١٣	خر ٢: ١٥
Allusion	مت ٢: ١٥	خر ٤: ١٩
Allusion	مت ٢: ١٩–٢٠	خر ٤: ١٩
Allusion	مت ٢: ٢١	خر ٤: ٢٠
Citation	مت ٥: ٢١	خر ٢٠: ١٣

١١ هناك فرقٌ بين الاستشهاد الصريح "citation"، والتلميح "allusion" الذي يلمّح خارجيًّا إلى السفر. وقد حاول أحد الباحثين (Jean Miller) جمْع كلّ التلميحات والاستشهادات للعهد القديم في متّى، فوصل إلى العدد ١٧٢، وقد نشرها في الدراسة التالية:

Jean Miller, *Les citations d'accomplissement dans l'évangile de Matthieu*, Pontificio Istituto Biblico, Roma 1999, 361-367.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Clean Final_M5.indd 445 1/30/17 1:09 PM

Citation	مت ٥: ٢٧	خر ٢٠: ١٤
Citation	مت ٥: ٣٨	خر ٢١: ٢٤–٢٥
Citation	مت ١١: ١٠	خر ٢٣: ٢٠
Allusion	مت ١١: ٢٨	خر ٣٣: ١٤
Citation	مت ١٥: ٤أ	خر ٢٠: ١٢
Citation	مت ١٥: ٤ب	خر ٢١: ١٦
Allusion	مت ١٧: ٢	خر ٣٤: ٢٩–٣٠
Citation	مت ١٩: ١٨–١٩	خر ٢٠: ١٣–١٦
Citation	مت ٢٢: ٣٢	خر ٣: ٦
Allusion	مت ٢٣: ١٩	خر ٢٩: ٣٧
Allusion	مت ٢٦: ٣–٤	خر ٢١: ١٤
Allusion	مت ٢٦: ٢٨	خر ٢٤: ٨

التلميح الأوّل هو مت ٢: ١٣: "قُم فَخُذِ الطِّفلَ وأُمَّه واهرُبْ إلى مصر وأقِمْ هناكَ حَتَّى أُعْلِمَك، لأنَّ هيرودُسَ سَيَبْحَثُ عنِ الطِّفلِ لِيُهلِكه"، لخر ٢: ١٥: "وسَمِعَ فِرعَونُ بِذا الخبر، فطَلَبَ أن يَقتُلَ موسى، فهَرَبَ موسى مِن وَجهِ فِرعَونَ وانطَلَقَ إلى أَرضِ مِديَن". كما بحث فرعون عن موسى ليقتله، كذلك أيضًا فعل هيرودس بالطفل يسوع.

التلميح الثاني هو مت ٢: ١٥: "فأقامَ (يوسف ومريم والطفل) هناكَ إلى وفاةِ هيرودُس"، لخر ٤: ١٩: "وقالَ الرَّبُّ لِموسى بِمِدْيَن: إذهَبْ فارجِعْ إلى مصر، فإنَّه قد ماتَ جميعُ النَّاسِ الَّذينَ يَطلُبونَ نَفْسَكَ". وفاة هيرودس تذكّر بموت فرعون المضطهِد لموسى.

التلميح الثالث هو مت ٢: ١٩–٢٠: "ما إن تُوُفِّيَ هيرودُس حتَّى تراءَى ملاكُ الرَّبِّ في الحُلمِ ليوسفَ في مصر وقالَ له: قُمْ فَخُذِ الطِّفلَ وأُمَّه واذهَبْ إلى أرضِ

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Clean Final_M5.indd 446 1/30/17 1:09 PM

إسرائيل، فقد ماتَ مَن كانَ يُريدُ إهلاكَ الطِّفْل"، لخر ٤: ١٩: "وقالَ الرَّبُّ لموسى بِمِدْيَن: إذهَبْ فارجِعْ إلى مصر، فإنَّه قد ماتَ جميعُ النَّاسِ الَّذينَ يَطلُبونَ نَفْسَكَ". بإيعاز من الربّ عادت العائلة المقدّسة إلى أرض إسرائيل، وبإيعاز من الربّ أيضًا عاد موسى إلى مصر.

التلميح الرابع هو مت ٢: ٢١: "فقامَ فأخذَ الطِّفلَ وأُمَّه ودَخَلَ أرضَ إسرائيل"، لخر ٤: ٢٠: "فأخَذَ موسى امرأَتَه وبنيه وأَركَبَهُما على الحمار ورَجَعَ إلى أَرضِ مصر". عودة العائلة المقدّسة إلى أرض إسرائيل تذكّر بعودة موسى إلى مصر.

كلُّ طفولة يسوع المحفوفة بالخطر والاضطهاد من هيرودس تذكّر بموسى الهارب من وجه فرعون؛ نجاة يسوع من يد هيرودس تذكّر بنجاة موسى من فرعون؛ لجوء العائلة المقدّسة إلى مصر ثمّ العودة منها تذكّر بلجوء شعب الله إليها وخروجه منها على يد موسى؛ في بداية حياته العلنيّة صام يسوع أربعين يومًا وأربعين ليلة (مت ٤: ٢)، استعدادًا لخطبة الجبل، كذلك موسى صام في جبل حوريب استعدادًا لقبول الوصايا العشر (خر ٢٤: ١٨)؛ فيسوع هو موسى الجديد[١٢]!

في خطبة الجبل (مت ٥ – ٧) نجد استشهادات واضحة بسفر الخروج. الاستشهاد الأوّل هو مت ٥: ٢١: "سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قيلَ للأوَّلين: لا تَقْتُلْ"، خر ٢٠: ١٣ حيث نجد الوصيّة الخامسة من وصايا الله العشر. نجد أيضًا هذه الوصية في تث ٥: ١٧. الاستشهاد الثاني هو مت ٥: ٢٧: "سَمِعْتُم أنَّه قيل: لا تَزْنِ"، خر ٢٠: ١٤ حيث نجد الوصيّة السادسة من وصايا الله العشر. نجد أيضًا هذه الوصيّة في تث ٥: ١٨. الاستشهاد الثالث هو مت ٥: ٣٨: "سمِعتُم أنَّه قيل: العينُ بالعين والسِّنُّ بالسِّنّ"، خر ٢١: ٢٤–٢٥ الذي يزيد ما يلي: "عَينًا بعَين وسِنًّا بِسِنّ ويدًا بِيَد ورِجْلاً بِرِجْل، وحَرقًا بِحَرْق وجُرْحًا بِجُرْح ورَضًّا بِرَضّ".

دعمَ يسوع أقواله بأعمالٍ خلاصيّة؛ فبعد خطبة الجبل قام يسوع بعشر[١٣]

١٢ بالنسبة إلى يسوع كموسى الجديد الذي يقوم بخروج جديد، يمكن مراجعة:
W.D. Davies, *Pour comprendre le sermon sur la montagne*, Parole de Dieu 4, Paris 1970, 25-41.

١٣ بعض الدراسات تجعل ليسوع في مت ٨ – ٩ فقط تسع معجزات، مجموعة في ثلاثة أقسام، بينها فاصلان، ولكلّ قسم موضوع لاهوتيّ وحيثيّات تجمع بين المعجزات الثلاث. في القسمين الأوّلَين العدد واضح، أمّا الجديد فهو القسم الثالث الذي يحتوي على ٣ معجزات ثنائيّة: ١) الموضوع: إعطاء الحياة: المنزوفة وإحياء ابنة أحد الوجهاء، ٢) شفاء الأعميَين، ٣) شفاء أخرس ممسوس. رج:
M. Grilli, «Vangelo secondo Matteo», dans L. Pacomio – F. Dalla Vecchia – A. Pitta, ed., *La Bibbia Piemme*, Casale Monferrato Alessandria 1995, 2326-2327.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Clean Final_M5.indd 447 1/30/17 1:09 PM

معجزات (مت ٨ – ٩) تذكّر ببدء موسى لرسالته بآيات عشر هي ضربات مصر (خر ٧: ٨ – ١٢: ٣٤).

الاستشهاد الرابع هو حول يوحنّا المعمدان: مت ١١: ١٠: "فهذا الذي كُتِبَ في شأنه: هاءَنَذا أُرسِلُ رسولي قدَّامَكَ ليُعِدَّ الطَّريقَ أمامَكَ"، خر ٢٣: ٢٠: "ها أَنا مُرسِلٌ أَمامَكَ ملاكاً ليَحفَظَكَ في الطَّريق ويأتِيَ بكَ إلى المكانِ الَّذي أَعدَدتُه"؛ فهذه الآية من سفر الخروج هي من مواعد وإرشادات الله لموسى في موضوع الدخول إلى أرض كنعان.

التلميح الخامس هو مت ١١: ٢٨: "تَعالَوا إليَّ جميعًا أيُّها المرهَقونَ المثقَلون، وأنا أُريحُكم"، خر ٣٣: ١٤: "فقالَ الرَّبّ لموسى: وَجْهي يَسيرُ أَمامَكَ وأُريحُكَ"؛ فالربّ يريح المتّكل عليه، كما أنبأ إرميا حول تجديد يهوذا بعد السبي: "أروي النفس المنهَكة وأملأ الذائبة" (إر ٣١: ٢٥).

في مجادلة يسوع مع الكتبة والفرّيسيّين حول غسل الأيدي عند تناول الطعام، إتّهمهم يسوع بمخالفة وصيّة الله الرابعة من أجل تقليدهم، فقال: "فقد قالَ الله: أكرِمْ أباكَ وأُمَّكَ؛ مَنْ لَعَنَ أباه أو أُمَّه فلْيَمُتْ موتًا". وبذلك يكون قد استشهد خر ٢٠: ١٢ وتث ٥: ١٦ للعودة إلى وصيّة الله، وضمّ إلى هذا الاستشهاد موضوع لعن الوالدين ونتيجته عقاب الموت من خر ٢١: ١٦ ولا ٢٠: ٩. هذان هما الاستشهادان الخامس والسادس.

التلميح السادس هو في حادثة تجلّي يسوع على الجبل، فيقول الإنجيل: "وتجلَّى بمرأى منهُم، فأشَعَّ وجهُه كالشَّمس، وتَلألأت ثيابُه كالنُّور" (مت ١٧: ٢)، وهذا يقابله خر ٣٤: ٢٩–٣٠: "ولَمَّا نَزَلَ موسى مِن جَبَلِ سيناء، ولَوحا الشَّهادةِ في يدِه، لم يَكُنْ يَعلَمُ أنَّ بَشَرَةَ وجهِه قد صارَت مُشِعَّةً مِن مخاطبةِ الرَّبِّ له، فرأَى هارونُ وجميعُ بني إسرائيل موسى، فإذا بَشَرَةُ وجهِه مُشِعَّة، فخافوا أن يَقتَرِبوا مِنه".

عندما أتى الشاب الغني إلى يسوع وسأله ماذا عليه أن يعمل لينال الحياة الأبديّة، كان جواب يسوع أنّ عليه أن يحفظ الوصايا: "لا تَقتُلْ، لا تَزنِ، لا تَسرِقْ، لا تَشهَدْ بالزُّور، أكرِمْ أباكَ وأُمَّك" (مت ١٩: ١٨–١٩)، مستشهدًا بذلك بوصايا الله في خر ٢٠: ١٣–١٦. وهذا هو الاستشهاد السابع.

أمّا الاستشهاد الثامن والأخير فهو في المجادلة حول قيامة الأموات حيث

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Clean Final_M5.indd 448 1/30/17 1:09 PM

قال يسوع: "أما قَرأتُم ما قالَ اللهُ لكم: أنا إلهُ إبراهيم، وإلهُ إسحق، وإلهُ يعقوب؛ وما كانَ إلهَ أموات، بل إلهُ أحياء" (مت ٢٢: ٣٢)، وهكذا يكون قد استشهد بخر ٣: ٦ عندما ظهر الله لموسى في العلّيقة المشتعلة وعرّفه باسمه فقال: "أَنا إِلهُ أَبيكَ، إِلهُ إبراهيم وإِلهُ إِسحق وإِلهُ يعقوب".

في قمّة صراعه مع الكتبة[١٤] والفرّيسيّين إتَّهَمَ يسوع تقليدهم الخاطئ الذي يقول، بموضوع الحلفان، أنّ مَن حلف بالمذبح فليس بشيء، ومَن حلف بالقربان على المذبح فهو ملزَم (مت ٢٣: ١٨)؛ فالتلميح السابع في الإنجيل إلى سفر الخروج يقع في الجملة التي تتبع هذا القول. "أيُّها العميانَ، أيُّهما أعظَم؟ القربانُ أم المذبحُ الذي يُقَدِّسُ القربان؟" (مت ٢٣: ١٩)، وهذا تلميح إلى خر ٢٩: ٣: "فَيَكونُ المذبحُ قُدْسَ الأَقداس. كُلُّ ما مَسَّ المذبحَ يَكونُ مُقَدَّسًا".

على عتبة آلام يسوع، أوضح متّى أنّ رؤساء اليهود أجمعوا على أن يُمسكوا يسوع "بحيلة" فيقتلوه، فقال: "اجتَمَعَ عظماءُ الكهنةِ وشيوخُ الشَّعبِ في دارِ عظيم الكهنة، فأجمَعوا على أن يُمسِكوا يسوعَ بحيلةٍ ويقتُلُوه" (مت ٢٦: ٣–٤). طريقَة المكر والحيلة هذه في القبض على يسوع لقتله هي تلميحٌ إلى ما ورد في خر ٢١: ١٤.

التلميح التاسع والأخير هو إقامة العهد الجديد بدم يسوع كما قام العهد القديم بالدم بين الله وشعبه على يد موسى. هذا التمليح موجود في مت ٢٦: ٢٨: "هذا هُوَ دمي، دَمُ العهدِ يُراقُ مِن أجلِ جماعةِ النَّاس لِغُفرانِ الخطايا"، والذي يقابله في خر ٢٤: ٨: "فأَخَذَ موسى الدَّمَ ورَشَّه على الشَّعبِ وقال: هُوَذا دَمُ العهدِ الَّذي قَطَعَه الرَّبُّ معَكم على جميعِ هذه الأَقوال".

ونجد أيضًا تقاربًا في الصياغة اللغويّة بين متّى وسفر الخروج. هناك انتقال سريع في بعض المقاطع من صيغة المخاطب الجمع (أنتم) إلى المخاطب المفرد (أنت)، وبالعكس، دون إشارة من قبل الكاتب إلى تغيير في الحضور والمستمعين. نجد ذلك في حديث يسوع حول الصلاة (مت ٦: ٥–٦) والصوم (٦: ١٦–١٧) والكنز الحقيقيّ (٦: ٢٠–٢١) وفي الملامة الكبرى للكتبة والفرّيسيّين (٢٣: ٢٥–٢٦) وفي نصوص أخرى. هذا الانتقال من المخاطب المفرد إلى الجمع، ومن المخاطب

١٤ رج ميشال صقر، "قمّة الصراع بين يسوع والفرّيسيّين"، في: أيوب شهوان، **الإنجيل بحسب القدّيس متّى**، دراسات بيبليّة ٤٨، الرابطة الكتابيّة، بيروت ٢٠١٢، ٣٩٩–٤١٧.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Clean Final_M5.indd 449 1/30/17 1:09 PM

الجمع إلى المفرد، هو ميزة كاتب سفر الخروج (خر ٢٣: ١٣ و٢٥) وسفر تثنية الاشتراع[١٥]. قد يفهم القارئ من خلال ذلك تعميمًا لفكرة محدّدة تتخطّى فيها الصيغةُ الحاضرَ والمستمعَ آنذاك إلى كلّ القرّاء عبر العصور في كلّ مكان وزمان.

٤– المحطّات اللاهوتيّة الجامعة بين خروج ومتّى

بعد عرض النصوص، جاء وقت التحليل اللاهوتيّ. ما معنى كلّ هذا التقارب؟ وما الذي يجمع لاهوتيًّا ما قد جُمع في النصّ واللغة؟ يمكن تلخيص المحطّات اللاهوتيّة الجامعة بين سفر الخروج وإنجيل متّى بأربعة محاور: أوّلاً حول الله، ماهيّته ونوعيّة حضوره؛ ثانيًا حول عمل الله مع شعبه وعنايته لهم؛ ثالثًا حول علاقة شعب الله القديم بالجماعة الكنسيّة الجديدة؛ وأخيرًا في أهمّيّة الحفاظ على الشريعة من قبل المؤمنين.

٤. ١ – عمّانوئيل و"أنا هو الذي هو"

عندما أوحى الله باسمه لموسى وعد ببقائه مع الشعب ومرافقته له؛ فاسمه في اللغة العبريّة "إهْيِهْ أَشِرْ إِهْيِهْ" (خر ٣: ١٤) تُرجم بعدّة طرق: "أنا هو الكائن"، حسب الترجمة السبعينيّة، أو "أنا هو الذي سيكون"، حسب الترجمة المسكونية (TOB)؛ فالله هو الكائن الوحيد حقًّا، أي إنّه سام ويبقى سرًّا في نظر الإنسان، لكن في الوقت نفسه، هو يعمل في تاريخ الشعب وفي تاريخ البشريّة التي يرشدها نحو غاية معيّنة؛ فهو الأزليّ الذي لا يتغيّر والأمين، الكائن هنا مع شعبه، والمرافق له دائمًا وفي كلّ مكان (خر ٣٣: ١٦). إنّ الوعد بهذا الحضور الكلّيّ القدرة، الذي نطق به الله أثناء إقامة العهد (٣٤: ٩–١٠) قد تجدّد مع جميع المختارين الذين قادوا شعبه على مرّ العصور. وقد تجلّى حضوره بعلامات مختلفة تثير الرهبة، منها العاصفة والنار والرياح (خر ٢٠: ١٨–٢٠)، وأيضًا في جوّ سلام، فيهبّ كنسيم عليل خفيف عندما يتحدّث مع أخلاّئه وجهًا لوجه مع موسى، مثلاً (خر ٣٣: ١١)، ومع إيليّا (١ مل ١٩: ١١–١٣). وهناك علامات حضور لله متّسمة بالنور، فهو على شكل عمود غمام ونار، يقود شعبه في الصحراء (خر ١٣: ٢١) ويقيم في وسطه، ومجده يملأ الخيمة التي تحوي تابوت العهد (خر ٤٠: ٣٤).

وفي إنجيل متّى، عطيّة حضور الله تجلّت في شخص يسوع المسيح الذي تجسّد

١٥ رج
F. Garcia Lopez, «Le Deutéronome. Une Loi prêchée», *Cahiers Évangile* 63 (1988) 7-61.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Clean Final_M5.indd 450 1/30/17 1:09 PM

من صبيّة بتول عذراء كما ولد حزقيّا المؤمن من أمّه الصبيّة زوجة الملك الشرير آحاز في أيّام نبوءة أشعيا الذي قال: "ها إنّ العذراء تحبل وتلد ابنًا يُدعى اسمه عمّانوئيل أي الله معنا" (أش ٧: ١٤ ومت ١: ٢٣)؛ فمتّى هو إنجيل العمّانوئيل، إنجيل حضور الله الدائم إذ يُخبر قصّة يسوع بين قفلٍ أدبيّ كبير موجود في ١: ٢٣ وفي ٢٨: ٢٠؛ فـ"الله معنا" يعود في نهاية الإنجيل بعد القيامة ليقول للرسل ولكلّ مؤمن عن يدهم على مرّ العصور أنّه "الله معكم" وأنّ حضوره دائم حتّى انقضاء العالم. وفي وسط الإنجيل، عندما علّم حول الصلاة الجماعيّة، ذكّر أنه الـ"عمّانوئيل" لأنّه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمه كان هناك بينهم (مت ١٨: ٢٠). لا يعرض متّى فقط يسوع كموسى جديد، إنّما يجد في شخص يسوع اكتمالاً إلهيًّا؛ فقد جعل من إنجيله تتميمًا لِما أوحي به في سفر الخروج عن حضور الله الدائم معنا. يكفي للمؤمن أن يعرف أنّ هذا الحضور هو مقدَّمٌ من الله كعطيّة له: "ها أنا واقف على الباب أقرعه" (رؤ ٣: ٢٠)، وما عليه إلاّ أن يجيب مع العروس بقوّة الروح: "تعالَ أيّها الربّ يسوع" (رؤ ٢٢: ١٧).

٤. ٢ – العناية الإلهيّة

لمّا كان الشعب يسير في الصحراء كان يكتشف يومًا بعد يوم أنّ العيش في وضعيّة خروج دائم هو الطريق للخلاص من عبوديّة الأوثان؛ كان يكتشف أنّ الخروج الدائم هو السبيل للعيش في أرض، ليست فقط هديّةً من الله بل أيضًا علامة أنّ الله يستطيع أن يعطي كلَّ شيء، لأنّ كلَّ شيء نعمةٌ منه. من خلال السير في الصحراء، تعلّم الشعب أن يفهم أنّ عطيّة الله لا تحدّها المخيّلة البشريّة لِما فيها من كرم وعطاءٍ ووفرة. ميزة الشعب في سفر الخروج أنّه يسير في الصحراء دون الوصول إلى نهايته المرجوّة عمليًّا، لكنّه تعلّم أنّ عناية الله التي اهتمّت به كلّ يوم، ووفّرت له الماء والمنّ والحاجات الضروريّة للبقاء حيًّا، ستهتمّ به في أرض الميعاد. وهكذا كانت الصحراء مدرسةً للشعب ليتعلّم أن يعيش الحياة بثقة ورجاء في العناية الإلهيّة، خاصّةً بعد أن اختبر أنّ الله خلّصه من العبوديّة في مصر، ونجّاه من العطش والجوع والأفاعي والأخطار في الصحراء.

العناية الإلهيّة هي أيضًا من مواضيع إنجيل متّى الأساسيّة، فيعلن يسوع أنّ الله، الذي يهتمّ بطيور السماء وبزنابق الحقل، لا يمكنه إلاّ أن يهتمّ بالناس، لأنّه أبٌ يعلم ما يحتاجه أبناؤه (مت ٦: ٢٥–٣٤). عناية يسوع بالجموع ظهرت لمّا رآهم تعبين رازحين كغنم لا رعي لها، فأشفق عليهم، وشفى مراضهم وأعلن لهم بشارة

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Clean Final_M5.indd 451 1/30/17 1:09 PM

الملكوت (مت ٩: ٣٥–٣٨). وكما أعطيَ المنُّ للشعب في الصحراء، استطاع يسوع أن يُشبع الجموع من خمسة أرغفة وسمكتين لمّا كان عددهم خمسة آلاف رجل (مت ١٤: ١٣–٢١)، ومن سبعة أرغفة وبعض سمكات صغار لـمّا كان عددهم أربعة آلاف رجل (مـت ١٥: ٣٢–٣٩). وقد علّم أيضًا أن عنايته تهتمّ بكلّ مَن يترك من أجل اسمه بيوتًا وإخوة وأخوات، فيُعوَّض عليه بمئة ضعف ويرث في النهاية الحياة الأبديّة.

فإذا كان يسوع يكشف للناس عن المحبّة اللامتناهيّة التي تعبّر عنها العناية الإلهيّة، فهو يعلّمهم أيضًا كيفية التجاوب مع هذه العناية، فيكون هذا التجاوب من خلال الثبات في الأمانة، ومن خلال التوسّل إلى الآب بأن تتمّ مشيئته على الأرض كما هي في السماء (مت ٦: ١٠–١١).

٤. ٣ – الشعب والكنيسة

إنّ اللفظ العبريّ "قَهَلْ" يدلّ على جماعة حوريب (تث ٤: ١٠) كما أنّه يدلّ على اجتماع إسرائيل الطقسيّ في زمن الملوك أو بعد السبي (١ أخ ٢٨: ٨). وإن كان لفظ "ekklêsia" يطابق دائمًا لفظ "قَهَلْ"، إلاّ أنّ هذا الأخير يُترجَم أحيانًا بمفردات أخرى وخاصّة بكلمة "synagogê" (خر ١٦: ٣)؛ فالكنيسة والمجمع لفظان مترادفان ولن يصبحا متعارضَين إلاّ عندما سيخصّ المسيحيّون أنفسهم باللفظ الأوّل، مطلقِين الثاني على اليهود المقاومين لهم. ومن أسباب اختيار لفظ "ekklêsia" في الترجمة السبعينيّة هو اشتقاقه اللغويّ من فعل "ekkaléô"، ومعناه "أدعو"، ويفيد هذا اللفظ بذاته أنّ شعب الله هو اجتماع أشخاص مدعوّين بمبادرة إلهيّة.

تكوّن هذا الشعب[١٦] المميَّز وعرف أنّه مختار من الله، خلال خبرة الصحراء، بعد خروجه من عبوديّة مصر، وبفضل إبرام العهد على جبل سيناء (خر ١٩: ٣)؛ فمرحلة الصحراء هذه كوّنت شعبًا يعيش كفترة "غرام" مع الله، جعلت من النبيّ هوشع، الذي تركَتْه امرأتُه وذهبت وراء عشّاقها، أن يحنّ إلى تلك المرحلة فيتنبّأ ويقول: "ها إنّي أستغويها، وآتي بها إلى البرّيّة وأخاطب قلبها، ومن هناك أردّ إليها

١٦ هذا الشعب يختلف كثيرًا عن الشعوب الأخرى بسبب سرّ دعوته؛ فرموزه التي تعبّر عنه في العهد القديم هي كثيرة منها: إسرائيل هو خاصّة الله (خر ١٩: ٥)، ميراثه (تث ٩: ٢٦)، قطيعه (مز ٨٠: ٢)، كرمته (أش ٥: ١)، ابنه (خر ٤: ٢٢؛ هو ١١: ١)، عروسه (هو ٢: ٤)، ومملكة أحباره (خر ١٩: ٦).

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Clean Final_M5.indd 452 1/30/17 1:09 PM

كرومها" (هو ٢: ١٦–١٧).

شبّهَ يسوع هذا الشعب بالقطيع الذي لا راعي له (مت ٩: ٣٦)، لذلك اختار اثني عشر تلميذًا وقرّبهم إليه كأصدقاء حميمين، جاعلاً منهم الخلايا الأساسيّة والرؤساء لإسرائيل الجديد (مت ١٩: ٢٨). درّبهم على الكرازة ومحاربة الشياطين وشفاء الأمراض (مت ١٠: ٥–٤٢)، وعلّمهم كيف يفضّلون الخدمة على أماكن الصدارة (مت ٢٣: ٦)، ويعطون الأولويّة للخراف الضالّة (مت ١٠: ٦). قوّاهم حتّى لا يخشوا الاضطهادات، وأوصاهم أن يجتمعوا باسمه للصلاة معًا (مت ١٨: ١٩–٢٠)، أن يسامحوا بعضهم بعضًا وألاّ يلقوا الحرم على الخطأة علنًا قبل محاولة استعمال وسائل الإقناع (مت ١٨: ١٥–١٨).

فقط متّى يوضح أنّ المسيح أسّس الكنيسة على بطرس الصخرة (مت ١٦: ١٧–٢٠) لِما في ذلك من أهمّيّة بنظره؛ فكنيسة المسيح ليست الـ"إسرائيل الحقيقيّ"[١٧] ولا إسرائيل جديدًا[١٨] آخر يختلف كلّ الاختلاف عن شعب العهد القديم؛ بين الكنيسة الشعب استكمالٌ ولكن أيضًا آفاقٌ جديدة. الاستكمال يأتي من قبول مسيح إسرائيل للإرادة الإلهيّة المكتوبة في الشريعة والتي لا يريد أن تزول نقطةٌ أو حرفٌ واحد منها (مت ٥: ١٧–١٩)، والآفاق الجديدة فتأتي من صليب المسيح وقيامته، الذي جعل من الكنيسة عروسته، وقد دعا إلى الانضمام إليها جميع الشعوب (مت ٢٨: ١٦).

٤. ٤ – الحفاظ على الشريعة

بعد الشريعة الطبيعيّة التي سادت في العصور الأولى، وضعَ الله، في أيّام موسى، شعبَ العهد القديم، المفروز من الأمم، تحت نظام آخر هو نظام شريعة وضعيّة، موحًى بها من الله نفسه، هي توراة موسى؛ فهناك ثمّة توصيات خُلقيّة تَبرز خاصّة في الوصايا العشر (خر ٢٠: ٢–١٧)، وقواعد قانونيّة تنظّم المعاملات المدنيّة:

١٧ حول هذا القول المرفوض لاهوتيًّا في الأوساط الكاثوليكيّة، رج:
W. Trilling, *Das wahre Israel. Studien zur Theologie des Matthäus-Evangeliums*, Erfurter Theologische Studien 7, Leipzig 1975.

١٨ كلّ الأفكار التي تتّهم إنجيل متّى أنّه ضدّ السّاميّة وضدّ اليهود هي مرفوضة في الأوساط الكاثوليكيّة؛ لمعرفة هذه الآراء والمراجع، رج:
M. Sakr, « Lecture pragmatique des sept invectives dans Mt 23,13-36 », *Revue Biblique* 118 (2011) 46-47.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Clean Final_M5.indd 453 1/30/17 1:09 PM

الأسَريّة، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة، والقضائيّة (خر ١٩ – ٢٤). تلك المتطلّبات تؤلّف مدرسة قاسية، لها الفضل في تدريب "الشعب القاسي الرقاب" على السير في طريق القداسة، التي يدعوه الله إليها. إنّ الشريعة متّصلةٌ اتصالاً وثيقًا بالعهد، فليس لبني إسرائيل شريعةٌ أخرى سوى شريعة موسى: النصوص جميعها موضوعة على فمه وفي إطار الكلام عن الإقامة في سيناء. لذلك، تُعتبَر الشريعة إرادة الله المقدّسة لحياة الشعب.

في إنجيل متّى، يظهر يسوع متمّمًا للشريعة. لم يأتِ ليبطلها بل ليكمّلها (مت ٥: ١٧). وعندما سأله أحد الفرّيسيّين عن الوصيّة الكبرى ربط بين محبّة الله ومحبّة القريب (لا ١٩: ١٨ وتث ٦: ٥) وأولاهما الأهمّيّة نفسها إذ بسّط الشريعة وركّزها على هاتين الوصيّتين؛ فهو ابن الله الذي يعرف ما في فكر الله، لذلك تتميمه للشريعة أو إكماله لها لا يعني أنّها كانت ناقصة وأتى الآن المسيح بالكمال أو بالزيادة اللازمة، فزيادة البرّ عن الكتبة والفرّيسيّين التي طلبها يسوع من تلاميذه (٥: ٢٠) ليست زيادة كمّيّة بل نوعيّة[١٩]. إنّ يسوع، كونه ابنَ الله، هو المخوّل الوحيد لإعطاء التفسير الحقيقيّ لإرادة الله على حياة البشر، لذلك أعاد الشريعة إلى أساسها الأوّل، إلى فكر الله، دون أن ينقضها أو أن يزيد عليها (٥: ١٧–٤٨).

أمّا الانعكاسات الأدبيّة للشريعة على حياة البشر فتتمحور حول أخلاقيّة المسؤوليّة. وليست أعمال الرحمة الستّة (مت ٢٥: ٣١–٤٥) وعيش العدالة والمحبّة والأمانة (مت ٢٣: ٢٣) سوى ملخّصاتٍ تعكس ما في الشريعة من عمقٍ قديم، جديدُ عيشِه لا ينتهي.

الخاتمة

أن يكون كاتب الإنجيل على معرفة عميقة بسفر الخروج، هذا أمرٌ لا شكّ فيه، ولكنّ الجديد أنّه ألّف مدراشًا حول يسوع[٢٠] مستعينًا بهذا السفر. فضْلُ متّى أنّه قدّم لقارئه جديدًا من قديمه، فهو مثالٌ لكلّ "كاتِبٍ تَتَلمَذَ لِمَلكوتِ السَّمَوات، إذ

19 « *Perisseuein* Mt 5,20 ist nicht Qualitätsbegriff sondern Quantitätsbegriff »: A. Oepke, «*mesîtis*», Kittel, G. – Friedrich, G. – al., *Theologisches Wörterbuch zum Neuen Testament*, IV, 625.

20 Ch. Perrot, « Les récits de l'enfance de Jésus », *Cahiers Évangile* 18 (1976) 15.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Clean Final_M5.indd 454 1/30/17 1:09 PM

يُشبِهُ رَبَّ بَيتٍ يُخرِجُ مِن كَنزِه كُلَّ جَديدٍ وقَديم" (مت ١٣: ٥٢).

سفر الخروج هو سفر تكوين هويّة شعب العهد القديم: ربُّه هو الإله الواحد، ميثاقه هو شريعة الوصايا، وأرضه أرضٌ عطيّةٌ من الله تدرّ لبنًا وعسلاً؛ فهو السفر الأساسيّ في العهد القديم. وإنجيل متّى: وُضع منذ اللوائح الأولى للعهد الجديد في بداية الكتب القانونيّة لكبر حجمه ولقربه من العهد القديم؛ وقد أبى آباء الكنيسة في القرنين الأوّلين إلاّ أن يجعلوا منه مرجعهم الأساسيّ؛ فمتّى هو الكاتب الأكثر قراءةً والأكثر استشهادًا بين كتّاب العهد الجديد عند آباء الكنيسة في القرنَين الأوّلَين[٢١]، وقد جعلوا منه كتاب التعليم المسيحيّ الأساسيّ في الأجيال الأولى، لأنّه جمّع كلمات الربّ يسوع في عظات هي أساس التعاليم المسيحيّة.

واللجنة الحبريّة الكتابيّة، في كتابها "الشعب العبريّ وكتاباته في الكتاب المقدّس المسيحيّ" الصادر عن الفاتيكان سنة ٢٠٠١، قالت في إطار تلميحات كتب العهد الجديد إلى العهد القديم إنّ أخبار طفولة يسوع عند متّى لا يُفهم معناها الكامل إلاّ عبر خلفيّة القصص الكتابيّة وغير الكتابيّة المتعلّقة بموسى. لذلك توجّه اللجنة القرّاء المسيحيّين للعودة إلى العهد القديم لفهم هذا الإنجيل الذي يكمّل العهد القديم، دون وضع الملامة المستدامة على اليهود بسبب دمار أورشليم[٢٢] وقتل المسيح.

وتبقى كلمات قداسة الحبر الأعظم في إرشاده الرسولّي الأوّل "فرح الإنجيل" تحفر في قلوبنا وتردّد صدى دعوة الله لموسى: "إذهب، أنا أرسلُك" (خر ٣: ١٠)، فيدعونا قداسته أن نكون كنيسةً في "خروج دائم" إلى ضواحي مدننا[٢٣]، خروج من راحتنا وتقوقعنا، لإعلان إنجيل الـ"عمّانوئيل" –الله معنا كلّ الأيّام، الذي يعتنيً بنا حتّى انقضاء الدهر.

المراجع

21 Edouard Massaux, *Influence de l'évangile de saint Matthieu avant saint Irénée*, Publications universitaires de Louvain, Louvain-Gembloux 1950, 651-654.

22 Pontificia Commissione Biblica, *Le peuple juif et ses saintes Écritures dans la Bible chrétienne*, Libreria Editrice Vaticana, Vatican 2001, 39 et 170-171.

23 Pape François, *Evangelii Gaudium. Exhortation apostolique sur l'annonce de l'évangile dans le monde d'aujourd'hui*, Libreria Editrice Vaticana, Vatican 2013, § 20, page 13.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Clean Final_M5.indd 455 1/30/17 1:09 PM

صقر، ميشال، "قمّة الصراع بين يسوع والفرّيسيّين"، في: أيوب شهوان، **الإنجيل بحسب القدّيس متّى**، دراسات بيبليّة ٤٨، الرابطة الكتابيّة، بيروت ٢٠١٢، ٣٩٩–٤١٧.

Agbanou V.K., *Le discours eschatologique de Matthieu 24 – 25. Tradition et rédaction*, Études Bibliques Nouvelle Série 2, Paris 1983.

Bacon B.W., *Matthew. The Making of the New Testament*, London 1912.

_____, "The Five Books of Matthew against the Jews", *The Expositor* 8/15 (1918) 56-66.

_____, *Studies in Matthew*, New York 1930.

Benoit P., « The Setting of the Sermon on the Mount by W.D. Davies », *Revue Biblique* 72 (1965) 595-601.

Bianchi C., *Pragmatica del linguaggio*, Roma 2003.

Davies W.D., *Pour comprendre le sermon sur la montagne*, Parole de Dieu 4, Paris 1970.

_____, *The Sermon on the Mount*, trad. française: *Pour comprendre le sermon sur la* montagne, Parole de Dieu 4, Paris 1970.

Deiss L., *Synopse des évangiles Matthieu, Marc, Luc, Jean*, Paris 1991.

Dormeyer D., *Evangelium als literarische und theologische Gattung*, Darmstadt 1989 .

Fumagalli A., « Espiritualidade. O êxodo na Bíblia : um modo de viver e de acreditar », in *Pelas estradas do êxodo. Publicação das Missionárias Seculares Scalabrinianas* 2/30 (2011) 7-11.

Garcia Lopez F., « Le Deutéronome. Une Loi prêchée », *Cahiers Évangile* 63 (1988) 7-61.

Grilli M.– C. Langner, *Comentario al evangelio de Mateo*, Evangelio y Cultura 5, Navarra 2011, 15-21 .

Grilli M., «Vangelo secondo Matteo», dans L. Pacomio – F. Dalla Vecchia – A. Pitta, ed. *La Bibbia Piemme*, Casale Monferrato Alessandria 1995.

_____, *Comunità e missione: le direttive di Matteo. Indagine esegetica su Mt 9,35 – 11,1,* EH XXIII/458, Frankfurt am Main 1992.

Martin W.J.– A.R. Millard, « Esodo. Libro », *Dizionario biblico GBU*, Roma 2008, 549-552.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Clean Final_M5.indd 456 1/30/17 1:09 PM

Massaux Edouard, *Influence de l'évangile de saint Matthieu avant saint Irénée*, Publications universitaires de Louvain, Louvain-Gembloux 1950, 651-654.

Miller Jean, *Les citations d'accomplissement dans l'évangile de Matthieu*, Pontificio Istituto Biblico, Roma 1999, 361-367.

Oepke A., «*mesîtis*», Kittel, G. – Friedrich, G. – *al., Theologisches Wörterbuch zum Neuen Testament,* IV, 625.

Pape François, *Evangelii Gaudium. Exhortation apostolique sur l'annonce de l'évangile dans le monde d'aujourd'hui*, Libreria Editrice Vaticana, Vatican 2013.

Perrot, Ch., « Les récits de l'enfance de Jésus », *Cahiers Évangile* 18 (1976).

Pontificia Commissione Biblica, *Le peuple juif et ses saintes Écritures dans la Bible chrétienne*, Libreria Editrice Vaticana, Vatican 2001.

Ricoeur Paul, *Du texte à l'action*, Paris 1986.

Sakr M., « Lecture pragmatique des sept invectives dans Mt 23,13-36 », *Revue Biblique* 118 (2011).

_____, *Le sévère Sauveur, Lecture pragmatique des sept «OUAI» dans Mt 23,13-36*, Peter LANG XXIII/808, BERN 2005.

Stock K., *Il racconto della passione nei vangeli sinottici*, Pontificio Istituto Biblico, Roma 2003.

Trilling W., *Das wahre Israel. Studien zur Theologie des Matthäus-Evangeliums*, Erfurter Theologische Studien 7, Leipzig 1975.

Wiener C., « Le livre de l'Exode », *Cahiers Évangile* 54 (1985).

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Clean Final_M5.indd 457 1/30/17 1:09 PM